تعدد الأصوات
إشكالية المصطلح

أ/ أمل عبد الكريم احمد

قسم اللغة العربية– كلية الآداب– جامعة بني سويف

المستخلص:

يدور هذا البحث حول تعدد الأصوات في الرواية، حيث يُعد تعدد الأصوات تقنية قديمة ظهرت مع ظهور الحوار، حيث كانت أحادية الصوت ثم شهدت تطوراً وانفتاحاً ملحوظاً مع ظهور التعدد اللغوي، وهو ما قال عنه بأختين بتعدد الأصوات، فهو أول من تحدث عن هذه الظاهرة. نتناول في هذا البحث تعدد الأصوات اصطلاحاً وتعدد الأصوات والحوار والرواية المتعددة الأصوات.

Abstract:

This research focuses on polyphony: the problem of terminology. In the novel, polyphony is an ancient technique that came along with the novel, which it was monophony. Then, it has undergone remarkable changeable and openness with the emergence of multilingualism, and that what the Russian critic "Mikhail Bakhtin" called with "polyphony", he was the first who spoke about this phenomenon.

In this research, we discuss polyphony, dialogue and the polyphonic novel.

المقدمة:

تعدد الأصوات؛ مصطلح نقدي حديث ارتبط بالخطاب الروائي الذي تتعدد وتكثر فيه الأصوات الساردة؛ أي تلك التي تتبع من أكثر من وجهة نظر، وتعود جذور هذا المصطلح عند الإغريق اليونان؛ حيث استخدموه كصفة مشتقة من

(Polyphones) وأطلقوه على كل من كانت له القدرة على إصدار أصوات متعددة، وعلى كل من كان متميزًا بغزارة تعبيره اللغوي؛ ثم انتقل إلى الموسيقى ثم بعد ذلك إلى الأدب؛ حيث يشير مصطلح تعدد الأصوات إلي رؤى حكائية متعددة؛ وذلك عبر وجهات النظر التي تشكل نسقًا ثقافيًا واجتماعيًا وفنيًا وجماليًا و...إلخ، ويرجع أصل هذا المفهوم إلي ميخائيل باختين M. Bakhtin في كتابه "شعرية دستوفسكي".

كان باختين أول من تحدث عن تعدد الأصوات في الرواية حيث تقع داخل هذه اللغة الروائية علائق حوراية متعددة منها العلاقة بين متكلمين، ويمكن قياس هذه العلاقات بالعلاقات التي تحدد عمليات تبادل الحوار؛ حيث إن اللغة مسكونة بحوار الآخر، وهذه اللغة الحوارية تتفاعل مع فرد أو أفراد في آن، وكل هذا يساعد في إنتاج الخطاب الأدبي، ومن خلال ذلك يمكن القول إن الكاتب يحقق ما يريد قوله من خلال إثبات وجهة نظره داخل الحكي خلال ضم صوت على (صوت)آخر عبر حوار ناتج من معنيين المعنى الأحادي والمتعدد[1]، وكل هذا لا يمت بأية صلة للتناص، فالتناص لا يندرج في إشكالية الإنتاجية النصية التى تتبلور كعمل نصي، ولا يمكن تحديده إلا بدمج كلمة أخرى، فهو يمثل تركيبًا يحيط بنظام النص لتحديد ما يتضمنه من

لمزيد من التفاصيل:

[1]– انظر ميخائيل باختين : الخطاب الروائي: ترجمة محمد برادة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى،1987 ص83.

، تزفييتان تودوروف: ميخائيل باختين المبدأ الحواري، ترجمة فخرى صالح، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، 1996. صـ 143.

نصوص بأخرى، أو ما يحيل عليه منها، وبذلك يكون التناص هو التقاطع داخل نص لأخذ تعبير من نصوص أخرى؛ إذ هو عملية نقل لتعبيرات سابقة أو متزامنة، فهو– على نحو من الأنحاء– اقتطاع، وتحويل[1]، فليس التناص صوتًا متعددًا بل صوتًا يأخذ من صوت نصًا داخل خطابه.

ومن الناحية اللغوية ارتبط مفهوم تعدد الأصوات بالحوارية عند "باختين" في دراساته لروايات دوستوفسكي التي عبّر فيها عن سائر الثقافات الإنسانية، كما عرفت لفظة عدد في (لسان العرب) بأنها:"إحصاء الشيء عده، يعده، عدًا، وتعددًا، وعده، عدده، والعدد في قوله تعالى" وأحصى كل شيء عددًا"، ويكون نصبه على الحال، يقال عددت الدراهم عدًا، وما عد فهو معدود وعددا[2].

وفي (تاج العروس) العد الإحصاء عدّ الشيء يعده عدا، وتعددا وعده وعدده(والاسم العدد، العديد) وعد الشيء حسبه. وقالوا:"العدد هو الكمية المتألفة من الوحدات، فيختص بالمتعدد في ذاته"[3].

و(صوت) من صات يصوت كقال يقول:"و" وصات يصات كخاف يخاف صوتًا، فيهما فهو صائت أى صائح، والصوت معرف مذكر، وقال ابن السكيت:"الصوت صوت الإنسان وغيره، والصائت الصائح، وكل ضرب من العناكب

[1]– محمد عبدالمطلب: قضايا الحداثة عند عبدالقاهر الجرجاني، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، الطبعة الأولى، 1995، صـ 147.

[2] – أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري: لسان العرب، دار صادر– بيروت– الطبعة الثالثة، 1414هـ، المجلد الثالث، باب الدال فصل العين، صـ 281.

[3]– السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، التراث العربي، سلسله تصدرها وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت، مطبعة حكومة الكويت، د.ت، المجلد الثامن، تابع باب الدال، فصل العين، صـ 353.

صوت، والجمع أصوات قوله تعالى عز وجل:"واستفزز من استطعت منهم بصوتك" قيل بأصوات الغناء والمزامير[1].

ومن الناحية الاصطلاحية أخذ المصطلح من الموسيقى؛ فتتداخل الأصوات في الرواية مثل السيمفونية الموسيقية؛ حيث تندمج الأصوات وتتداخل.

وبدأ يترسخ مصطلح تعدد الأصوات في فنون التأليف الموسيقي إثر ظهور أعمال(باخ)* ويشير إلى النوع الثالث من أنواع الموسيقى الذي تتقابل فيه مجموعة من الألحان، وتنطلق في آن، وتتشابك وتتعارض؛ بحيث يحافظ كل لحن منها على كيانه الإيقاعي الخاص، وربما يولد بينهما وحدة فنية مترابطة تنتج نغمتها المميزة؛ فهو مفهوم إبداعي يعنى تعدد الأصوات؛ فتعدد الأصوات الروائية كما عهدنا نقيض الحكي وفق الشكل التتابعي التقليدي، ولكي تكون بالمعني والدلالة الموسيقية، يجب أن تنطلق الأحداث في تزامنية واحدة موحدة، ومن خلال تشابك الأصوات وتعارضها وتمازجها تتبلور وجهات النظر الخاصة بكل شخصية، وموقفها مما يجري حولها، دون أن تتوحد تلك الأصوات أو يطغى أحدها على آخر، والأصوات هنا تمثل وجهات

[1]– نفسه، الجزء الرابع، باب التاء، فصل الصاد المهملة، صـ 597: 600.

*(باخ) هو مؤلف موسيقي وعازف أورگن ألماني، يعتبر أحد أكبر عباقرة الموسيقى الكلاسيكية في التاريخ الغربي، ولد عام 1685 في إيزناخ تعلم في بلدته، وتلقى دراسته للموسيقى في الوقت ذاته عن أبيه يوهان أمبروزيس (عازف كمان)، فكان أكثر أفراد عائلته الموسيقية موهبة وقدرة على تقديم موسيقى مختلفة الأشكال والألوان، هذا غير قدرته على قيادة الأوركسترا قبل أن يكمل الثامنة عشرة من عمره، وتميزه بغزارة الإنتاج الموسيقي وجودته وتنوعه.

نظر تجاه العالم، وتحمل الشخصيات في الرواية أيديولوجية معينة خاصة بها تعبر من خلالها عن رؤاها.[1]

يشير مصطلح تعدد الأصوات Polyphony على المجال الموسيقي، فهو عبارة عن انسجام صوتي بين مجموعة من أصوات العزف المختلفة التي تتألف بشكل نسقي فني وجمالي. لينتقل هذا المصطلح بعد ذلك من ميدان الموسيقى إلى ميدان الأدب والنقد واللسانيات، ويعود أصل هذا المفهوم إلى ميخائيل باختين M.Bakhtin من خلال دراسته لمبدأ الحوارية في كتابه شعرية دوستويفسكي) (1929 م)[2]، دوستويفسكي هو خالق الرواية المتعددة الأصوات Polyphone لقد أوجد صنفًا روائيًا جديدًا بصورة جوهرية، ولهذا السبب بالذات فإن أعماله الإبداعية لا يمكن حشرها داخل أطر محددة من أي نوع[3].

ومن ثم يلحظ أن تعدد الأصوات–حسب باختين– هو مصطلح تم استعارته من الموسيقى ليكون ذات معنى أوسع وأشمل داخل النصوص الأدبية من حيث حمله دلالات متعددة ومتنوعة للشخصيات داخل العمل الروائي بالرغم من أن لغة حوار الأصوات تختلف بين السيمفونية الموسيقية والشعرية الأدبية؛ حيث يعبر الصوت

[1]– مريم جبر فريحات: المواجهة الحضارية في الرواية البوليفونية العربية: رواية أصوات لسليمان فياض نموذجًا،الجامعة الأردنية، مج 36، 2009، صـ 2.

[2] عبدالرحمن إكيدر: الرواية العربية المتعددة الأصوات: المقومات النظرية والفنية، حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي، العدد 360، مايو، 2017، صـ 64.

[3]– ميخائيل باختين: شعرية دوستويفسكي، ترجمة د. جميل نصيف التكريتي، مراجعة: حياة شرارة، دار توبقال للنشر، المغرب، ط1، 1986، صـ11.

و لمزيد من التفاصيل في هذا الصدد انظر:

Craig Brandis , The Bakhtin Circle Philosophy, Culture And Poolitics, Pluto Press, LONDON, STERLING, VIRGINIA, First Published 2002, P. 93.

داخل العمل الأدبي عن مجموعة من الشخصيات[1]، وتعد تقنية تعدد الأصوات من السمات المميزة للنص السردي أو هي تقنية تفسح المجال لتعدد العوالم والمواقف.

ومن أهم النصوص لرواية تعدد الأصوات رواية(إلواز الجديدة) لجان جاك روسو وروايات دويستفسكي خاصة روايته(الجريمة والعقاب Crime and Punishmen)، وأيضًا رواية (أصوات) لسليمان فياض[2].

ويعرف"جيرالد برنس" الرواية متعددة الأصوات بأنها الرواية التي تتسم بتفاعل أصوات عدة أو حالات من الوعي أو الراوي، بشرط ألا تتوحد هذه الأصوات أو يتفوق أحدها على الآخر، وهي بذلك تقف على النقيض من الرواية المونولوجية، إذ أن آراء الراوي وأحكامه لا تمثل أي سلطة عليا في العالم الروائي التخييلي، وإنما يمثل هذا الراوي مساهمة من بين عدة مساهمات في الخطاب الروائي وهذه المسافة أقل أهمية من تلك التي تقدمها الشخصيات الأخرى في العمل الروائي.

يعرف باختين الرواية المتعددة الأصوات بقوله:"إن الرواية متعددة الأصوات ذات طابع حواري على نطاق واسع، وبين جميع عناصر البنية الروائية، توجد دائمًا علاقات حوارية، إضافة إلى هذا إن الرواية البوليفونية تعبير عن صورة الإنسان، وتصوير لتنوع الحياة، وتعبير صادق عن تعقد المعاناة البشرية"[3].

تمتاز الرواية متعددة الأصوات بمجموعة من الشروط، هي:

1- عندما تتواجد منظورات عدة مستقلة داخل العمل.

---

[1]- CHRIS BALDICK: The concise oxford Dictionary of literary Terms, oxford university. PRESS INC, NEWYORK, 2004, P.273 .

[2]- جميل حمداوي: أنواع المقاربات البوليفونية، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، الطبعة الأولى،2015، Www.alukah.net، صـ 6،7.

[3]- جميل حمداوي: أنواع المقاربات البوليفونية ، صـ 7.

2- يجب أن ينتمي المنظور مباشرة إلى شخصية من الشخصيات المشتركة في الحدث" بمعنى" ألا يكون موقفًا إيديولوجيًا مجردًا من خارج كيان الشخصيات النفسي.
3- أن يتضح التعدد المبرز على المستوى الإيديولوجي فقط[1].

ومن ثم عرف" باختين" و "جيرالد برنس" الرواية المتعددة الأصوات تعريفات وتداولات نقدية متعددة أشهرها دراستا "باختين وكونديرا"؛ حيث تعرض "باختين" لهذا المفهوم من خلال تطلعاته ودراساته في روايات الروائي دويستوفسكي، والرواية التي تتعدد فيها الأصوات الساردة يقال عنها بأنها رواية تعدد الأصوات أو تعدد الرواة أو رواية التعددية الإيديولوجية، أو رواية الآفاق والرؤى، وأحيانا يقال عنها بأنها رواية الآراء الغيرية أو رواية وجهات النظر وربما رواية المتكلمين أو رواية السرد التعددي[2].

ومما سبق يلحظ أن مفهوم تعدد الأصوات مصطلح نقدي حديث ارتبط مؤخرًا بالعمل الروائي الذي تتعدد و تكثر فيه الأصوات الساردة، أي تلك التي تنبع من أكثر من وجهة نظر فقد ترجم هذا المفهوم(تعدد الأصوات) إلى العربية منقولًا عن مصطلح موسيقي بحت هو polyphoina فهذا المصطلح أو المفهوم موسيقي الأصل؛ إلا أن هناك من سبقوا النقد الحديث بالقول فيه " فالإغريق استعملوه كصفة مشتقة من Polyphones وأطلقوه على كل من كانت له القدرة على إصدار أصوات متعددة، وعلى كل من كان متميزًا بغزارة تعبيره اللغوي، وأطلق على كل من اتصف بالثرثرة"[3]

---

[1]- نفسه، صـ 8.

[2]- نزار مسند قبيلات: تعدد الأصوات في الرواية المفهوم والتوجهات النقدية، رابطة الأدب الحديث، ع 57، 2010 ، https://search.mandumah.com/Record/155596، صصـ 208، 209.

[3]- نزار مسند قبيلات: تعدد الأصوات في الرواية المفهوم والتوجهات النقدية ، صـ202.

ولكن جرت العادة على مر العصور وفي مختلف البلاد على استخدام أصل الكلمة Polyphon كما كان يستخدم للدلالة على مجموعة من المصطلحات التي تعطي معنى تنوع الأصوات أو تعددها أو تكاثرها.

وهذا ما أكده "جيرالد برنس" حين أوضح بأن السرد البوليفوني Polyphonic narrative = السرد الديالوجي الحواري Dialogic narrative، كما وجد أنه سرد يتميز بتفاعل أصوات عدة، وتنوع لأشكال الوعي، أو وجهات النظر حول العالم، لاتوجد إحداها أو تكون متفوقة بمعنى أن (تكون لها هيمنة أكبر) على الأخريات؛ سرد بوليفوني ولا تمثل وجهات نظر الراوي وأحكامه وحتى معرفته في السرد الحواري(الديالوجي) كما هو الشأن في السرد المونولوجي، وطبقًا لهذا فإن رواية ديستويفسكي الأخوة"كرامازوف" تقدم نموذجًا للسرد الحواري(الديالوجي)[1].

وثمة جذر آخر غير الجذر الموسيقي لهذه التقنية الروائية التي التفت لها البحث النقدي مؤخرًا (تعدد الأصوات الساردة)"فقبل قرابة ألفي عام، أي إلى الأناجيل الأربعة المتتالية، "إنجيل متّى" "وانجيل مرقص" "وإنجيل لوفا" "وإنجيل يوحنا"، هذه الأناجيل الأربعة التي يرجع تدوينها إلى القرن الأول الميلادي تعتمد على أربعة رواة في سرد السيرة اليسوعية.

وهذا جلي في أن السارد الواحد لكل إنجيل يصدر عن رؤية خاصة ومختلفة عن غيرها، وهذا يضع القضية أو الحدث محط أشكال واختلاف نظرًا لاختلاف الراوي التي يفترض أن تكون موحدة في الخطاب القدسي[2].

ومن هذا التراسل الفني الذي يجمع شتات الفنون الأدبية بعضها ببعض يأتي مصطلح التعدد الصوتي تأكيدًا على تكاملية الفن وترابطه؛ حيث إنه يطلق على تقنية

---

[1]– جيرالد برنس: قاموس السرديات، ترجمة السيد إمام، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، الطبعة الأولى، 2003، صصـ44،45.

[2]– نزار مسند قبيلات: تعدد الأصوات في الرواية المفهوم والتوجهات النقدية ، صـ 205.

حداثية عرفها العمل الروائي، وأطلق عنانها وحريتها وخلصها من رتابة القول النقدي للوصول إلى ما يعرف بسلطوية الراوي العليم؛ أما قديمًا كان الشائع وجهة النظر والتبئير وهكذا، ومن كل هذا انتقل المصطلح من التبئير ووجهة النظر إلى نظرة أعمق وأشمل عرفت بالمرجعية الفكرية ألا وهي تعدد الأصوات[1]؛ حيث" تتعدد الأصوات في النص فتتكامل وتتداخل في علاقات حوارية وتتعايش في وعي الأفراد... ويستخدم الروائي تعدد الأصوات في روايته من دون أن يجردها من السمات التي حملها إياها الآخرون"[2].

الخاتمة:

ومن خلال ما سبق يتضح أن الرواية أو (يمكنني أن أقول) (المتعددة الأصوات): بأنها تجمع بين جميع عناصر البنية الروائية التى لا تقوم فقط على تعدد الأصوات والشخصيات، حيث طرح هذا المفهوم على الساحة الأدبية منذ ثلاثينيات القرن العشرين مع نشأة المدرسة الشكلية الروسية، وعرف مصطلح البوليفونية بالحوارية أو التعددية في الأصوات لذا تعرف بتعددية اللغات والشخصيات والأساليب والفكر الأيديولوجي، ومن تعدد الأصوات وجد التعدد في الضمائر والرواة ووجهات النظر وتعدد أيضًا في الأفضية والأزمنة، بالإضافة إلى وجود تناص تفاعلي وحواري داخل العمل الأدبي مع مجموعة من النصوص المضمرة والمعلنة.

[1]– نزار مسند قبيلات: تعدد الأصوات في الرواية المفهوم والتوجهات النقدية، صـ200

[2]– لطيف زيتوني: معجم مصطلحات نقد الرواية، مكتبة لبنان ناشرون، دار النهار للنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2002 صـ83.

المصادر والمراجع:

أولًا: المصادر

- نجيب محفوظ: ميرامار، دار الشروق، الطبعة الثامنة، 2018.
- فرجينيا وولف: إلى الفنار: ترجمة وتقديم: إيزابيل كمال، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2015 .

Virginia Woolf: TO THE LIGHTHOUSE, YORK CLASSICS, Place Riad .Solh, Beirut, Printed in Lebanon, New Impression, 2007.

ثانيًا: المراجع

المراجع العربية

إبراهيم عبدالكريم زيد: السرد في التراث العربي، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الطبعة الأولى، 2009.

إبراهيم فتحي: العالم الروائي عند نجيب محفوظ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2012.

أحمد درويش: نظرية الأدب المقارن- وتجلياتها في الوطن العربي، القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، 2002.

ـــــــ : الأدب المقارن- النظرية والتطبيق، القاهرة، دار الثقافة العربية، ط2، 1992.

أحمد شوقي عبد الجواد: مدخل إلى الدرس الأدبي المقارن، دار العلوم العربية، بيروت، 1990.

أحمد طاهر حسنين- أحمد غنيم- حازم شحاته- مدحت الجيار- محمود البطل- نجوجي واثيو نحو- سيزا قاسم- يوري لوتمان: جماليات المكان (جماعة من الباحثين- عيون المقالات- باندونغ الدار البيضاء، دار قرطبة، الطبعة الثانية، 1988.

آمنة يوسف: تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الثانية، 2015.

آمنة يوسف: تقنيات السرد: في النظرية والتطبيق، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، اللاذقية، الطبعة الأولى، 1997.

أمينة رشيد: تشظي الزمن في الرواية الحديثة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998.

السيد إبراهيم: آفاق النظرية الأدبية الحديثة، مركز الحضارة العربية، الطبعة العربية الأولى، القاهرة للإعلام والنشر والدراسات، 2008.

جميل حمداوي: أنواع المقاربات البوليفونية، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، الطبعة الأولى، 2015